النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الرابع

الاحداث النصرانية بين عرب الجاهلية

ظهر من الفصول السابقة ما استمدَّهُ عرب الجاهليَّة من النصارى في مفرداتهم اللغويَّة واعلامهم الشخصيَّة. وفي هذا الفصل الجديد نبيّن ما اخذوهُ عنهم من معارفهم التاريخيَّة سواء جرت في العهد القديم من اوَّل العالم الى السيّد المسيح او من ميلاد المسيح الى الهجرة. فنقسم الفصل قسمين وفقاً لمذهبي الطورَيْن

١ أحداث العهد العتيق

امكن العرب ان ينقلوا اخبار العهد العتيق عن اليهود او عن المسيحيين الَّا اننا نروي هنا ما قالهُ الشعراء النصارى او من عاشوا في جهات الجزيرة التي ازهرت فيها النصرانيَّة. واليهود كما لا يخفى قلَّما يختلطون بامم غريبة عنهم. وزد على ذلك انَّ الاسفار الالهيَّة والاناجيل المقدَّسة كما يظهر من عدَّة شواهد تؤيّد ذلك كانت معرَّبةً وان كانت تلك الترجمة القديمة هي اليوم مفقودة. وها نحن نتتبَّع تلك الاحداث مع ما ينوِّه بها من اقوال العرب

١ ﴿ التكوين ﴾ هو اوَّل ما تُفتتح بهِ توراة موسى حيث يذكر اوَّلاً خلق الله عزَّ وجلَّ للسماء ثمَّ الارض مباشرةً بالجماد ثمَّ النبات ثمَّ الحيوان. اما تكوين السماء فقد مرَّ ذكرهُ في ما اوردناهُ من الالفاظ الدالَّة على الخالق سبحانهُ وتعالى ثمَّ السماء وزينتها وعلى الارواح الساكنة فيها (المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٢٢٩ و٢٩٢). فبقي

تكوين الارض في سبعة أيام الخليقة. فما جاء من ذلك ما رواهُ المقدسي (كتاب البد. ١: ١٥٠—١٥١) فقال: « وقد ذكرت حكماء العرب ومن كان يدين الله (كذا) منهم بدين الانبياء في اشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق. فمنهُ قول عديّ بن زيد وكان نصرانيًا يقرأ الكتب :

اسمعْ حديثًا لكي يومًا تجاوبهُ ... عن ظهر غيبٍ اذا ما سائلٌ سألا
أأنتَ كيف أبدى اللهُ الخلق نعتهُ ... فينا وعرَّفنا آياتهِ الأُوَلا
كانت رباحًا وماءً ذا عُرَانيةٍ ... وظلمةً لم يدَعْ فتقًا ولا خلَلا
فأمر الظلمةَ السوداء فانكشفتْ ... وعزَّل الماءَ عمَّا كان قد شملا
وبسَّط الارض بسطًا ثمَّ قدَّرها ... تحتَ السماء سواءً مثل ما فعلا (١
وجعل الشمس مصرًا (٢ لا خفاء بهِ ... بين النهار وبين الليل قد فصلا (٣
قضى لستَّة أيام خلائقهُ ... وكان آخر شيءٍ صوَّر الرَّجلا »

روى في تاج العروس (٣: ٥٤٣) البيتين الخامس والسادس لاميَّة بن ابي الصلت وكذلك ابن سيده في المخصَّص (١٣: ١٦١) روى البيت السادس لاميَّة الَّا انَّ شهادة كتاب البد. وكتاب الحيوان للجاحظ (٤: ٦٥) اقدم واصحّ وكلاهما يروي الابيات لعديّ بن زيد

وروى في كتاب البد. (١: ٦٥) وفي سيرة الرسول (ابن هشام ص ١٤٨) لزيد بن عمرو بن نوفل في تكوين الارض قولهُ :

واسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... لهُ الارضُ تحملُ صخرًا ثقالا
دحاها فلمَّا رآها استوت ... على الماء أرسى عليها الجبالا
واسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... لهُ المُزنُ تحملُ عذبًا زُلالا
اذا هي سيقت (٤ الى بلدةٍ ... اطاعت فصبَّت عليها سجالا

---

١) رواهُ في تاج العروس (٣: ٥٤٢) على صورة اخرى:
والارض سوَّى بساطًا ثمَّ قدَّرها ... تحتَ السماء سواءً مثل ما فَتَلا

٢) روى الجوهري (١: ٢٩١) : وجاعل الشمس. وورد في الاصل: « مصيرًا » وهو غلط كما يظهر في كتاب المخصَّص (١٣: ١٦٤) وفي تاج العروس (٣: ٥٤٤) : قالوا « والمصر » الحاجز والحدّ بين الشيئين

٣) في الاصل « فضلًا » وهو تصحيف اصلحهُ في المخصَّص وفي تاج العروس

٤) وفي كتاب البد. روى: اذا هي سوقت. وهو غلط

ومثلها لامية بن ابي الصَّلت (شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٦) :

وشقَّ الارضَ فانبجست عيونًا وأنهارًا من العَذْب الزُّلالِ
وبارك في نواحيها وزكَّى بها ما كان من حَرْثٍ ومالِ

وقال يذكر خلق الله للنيِّرين الكبيرين (شعراء النصرانيَّة ٢٢٦ وسيرة الرسول ٤٠) :

انَّ آياتِ ربِّنا باقياتٌ ما يُماري فيهنَّ الَّا الكَفُورُ
خلقَ الليلَ والنهارَ فكلٌّ سبَبينٌ (١ حسابُهُ مقدورُ
ثمَّ يجلو النهارَ (٢ ربٌّ كريمٌ بهاءٍ شعاعُها منشورُ

وله ايضاً (شعراء النصرانيَّة ٢٢٨) :

هو اللهُ باري الخَلْقِ والخَلْقُ كلُّهم إماءٌ لهُ طوعًا جميعًا وأعْبُدُ
تسبِّحه الطيرُ الجوانحُ في الضُّحى واذ هي في جوِّ السماء تصعَّدُ
ومن خوفِ ربِّي سبَّح الرعدُ فوقَنا وسبَّحَهُ الاشجارُ والوحشُ أبَّدُ
وسبَّحهُ النيرانُ والبحرُ زاخرًا وما ضمَّ من شيءٍ وما هو مُقْلِدُ (٣

وقال امية يصف تكوين الحيوانات (كتاب الحيوان للجاحظ Ms de Vienne, ff.397 طبعة مصر ٢ : ١١٨) :

هو أبدأ (٤ كلَّ ما يأثرُ النا سُ اماثيلَ باقياتٍ سُفورا
خالق النحلَ معصراتٍ تراها تقصف اليابساتِ والمخضورا (٥
والنمسيح والسنادل (٦ والابلَ م شتًى والرَّتمَ واليعفورا
وصوارًا من النواشط عينًا ونعامًا صواحيًا (٧ وحميرا
واسودًا عواديًا وفيولًا وسباعًا والنملَ (٨ والخنزيرا
وديوكًا تدعو الذراب لصلحٍ وبأوزَيْن اخرجت وصقورا

---

١) وبروى : بخاق . . . فكل مستبرٌ .
٢) وبروى : ثمَّ يجلو الظلام
٣) رواهُ في اللسان وفي اساس البلاغة والتاج في مادَّة « قلد » . قالوا أقْلد البحرُ على الخَلْق اي أرتج عليهم وغرَّقهم وجعلهم في جوفهِ . وبروى : والبحرُ زاخرٌ
٤) في طبعة مصر (٣ : ١١٨) : « هو ابدى » فيختلّ الوزن
٥) في طبعة مصر : خلق النخل معصدات . . . والخُضورا
٦) السنادل طيور كبار . وفي طبعة مصر : « والتماثيل » وهو غلط
٧) في طبعة مصر : خواضيًا
٨) وفي طبعة مصر : وذيابًا والوحش

ثمّ ذكروا تكوين جسم الانسان من طين الارض ونفسهُ من نفخة خالقه. قال الجاحظ في كتاب الحيوان (Ms de Vienne , ff. 213 وطبعة مصر ٣ : ٦٥) : « سانشدك لعديّ بن زيد وكان نصرانيًّا ديّانًا وترجمانًا وصاحب كتاب ومن دهاة ذلك الدهر قال يذكر شأن آدم ... » :

قضى لستّة ايّام خلائقهُ (١ وكان آخرُها أن صوّر الرجلا
دعاهُ آدمَ صوتًا فاستجاب (٢ لهُ بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

وقال اميّة بن ابي الصلت (حياة الحيوان ٢ : ١١٣) :

والارضُ معقلُنا وكانت امّنا فيها مقابرُنا وفيها نُولَدُ

وقال ايضاً في الارض وخلقة الانسان (فيه) :

منها خُلقنا وكانت أمّنا خُلقت ونحنُ ابناؤها لو أنّنا شُكُرُ
والطوطُ (٣ تزرعهُ فيها فنلبسُهُ والصوفُ نجتزُّهُ ما أدفأ الوبَرُ
هي القرارُ فما نبغي لها بدلًا ما ارحمَ الارضَ الّا انّنا كُفُرُ

وقال ايضاً (جمهرة شعراء العرب ص ١٨) :

كيف الجحودُ وانّا خُلقَ الفتى من طينِ صلصالٍ له فخّارُ

٢ ﴿ سكنى آدم في الفردوس وخطيئته ﴾ لعديّ بن زيد وصف حلول آدم في الجنّة وتكوين حوّاء من ضلعه وتجربة الشيطان لهما على صورة الحيّة ثمّ عقاب الابوين الاوّلين وطردهما من الفردوس فقال عن آدم (طبعة مصر ٤ : ٦٦ = Ms de Vienne, ff. 21) :

نُمّتَ اورثهُ (٤ الفردوسَ يعمرُها وزوجةً صنعةً من ضلعهِ جعلا
لم يَنْهَهُ ربُّهُ من غير واحدة من شجرِ طيّبٍ ان شمّ او اكلا
تعمّدا (٥ للّتي من اكلها نُهيا بأمر حوّاء لم تأخذ لهُ الدَّغَلا
كلاهما خاط إذ بدّت (٦ لُبوسهما من ورق التين ثوبًا لم يكُن غُزِلا

---

١) وفي طبعة مصر : خليقة . والبيت مختلّ الوزن
٢) في طبعة مصر : استجاب . غلط ٣) الطوط هو القطن
٤) طبعة مصر بالغلط : اورثة
٥) فيها : فعمدا
٦) فيها : اذبرا (كذا)

فكانت الحيَّة الرقشاء اذ خُلقت كما ترى ناقةً في الخَلْق او جملا (١
فلاطها اللهُ اذ أغوت خليقتهُ (٢ طول الليالي لم يجمل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عمرتْ والترب تأكلهُ حزنًا وان سهلا
فأتبا (٣ ابوانا في حياضهما ووجدا (٤ الجوع والاوصابَ والبللا

ولعديّ وصف آخر لتجربة ابليس لحوّاء وعقاب الحيَّة رواهُ العصاميّ في تاريخهِ بسط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ص ١٩) قال:

سعى الرجيمُ الى حوّا بوسوسةٍ غوتْ بها وغوى منها ابو البشرِ
خلقانِ من مارجٍ انشا خليقتهُ وآخرٌ من ترابِ الارض والمدرِ
انشاها ليطيعاهُ فخالفهُ ابليسُ عن امرهِ للعينِ والقدرِ
فأبلس الله ابليسًا واسكنهُ (٥ دارًا من الخُلد بين الروضِ والشجرِ
فاغتاظَ ابليسُ من بنيٍ ومن حسدٍ فاحتال للحيَّة الرقطاء والطبرِ (٦
فأدخلاهُ بأيمانٍ مؤكَّدةٍ اعصاهما بيمينٍ كاذبٍ قدرِ
هناك سار الى حوّا بوسوسةٍ أردت بفرّاتها منها ابا البشرِ
فأهبطوا من معاصيهم وكلُّهمُ نأيُ الجلِّ فقيدُ العين والأثرِ
واهبط اللهُ ابليسًا واوعدهُ نارًا تلهَّبُ بالإسعار والشررِ
وانزل اللهُ للطاووس رخمتهُ من صوتهِ ورمى رجليهِ بالكدرِ
وأعقب الحيَّة الحسناء حين مضت مَسخَ القوائم بعد السمي كالبقرِ
وأعقب اللهُ حوّا بالذي فعلتْ بالطمثِ والطلقِ والاحزانِ والتبكرِ

---

١) هذا البيت في طبعة مصر مقدَّم على الاثنين السابقين. امَّا قولهُ انَّ الحيَّة كانت كالناقة او الجمل فذلك من زعم العرب الذين ذهبوا الى انها كانت بجسَّمةً ذات اربعة قوائم فعُوقبت بنقص جناحها وقطع ارجلها والمشي على بطنها وباعراء جلدها حتى يقال «اعرى من حيَّة» وبشقّ لسانها. (راجع كتاب الحيوان للجاحظ ٤: ٦٦)

٢) في طبعة مصر: خليقتهُ بالفاء.

٣) في طبعة مصر: فأبتا

٤) فيها: واوجدا

٥) الضمير الى الانسان اي اسكن الانسان

٦) يريد بالطير الطاووس والعرب يزعمون انَّ ابليس استعان بهِ وبالحيَّة ليدخل الفردوس ويخدع الانسان فمسخهُ الله بتغيير صوتهِ ودقَّة رجليهِ

وروى في كتاب البدء (١ : ٦١) وفي اللسان (١٣ : ١٥٧) والتاج (٦ : ٦٥) عن الحيّة قول امية :

والحيّة الحَتْفةُ الرَّقْشاء اخرجَها من بيتها أَينَاتُ اللهِ والكَلِمُ
اذا دعا باسمِهِ الانسانُ او سمعتْ ذات الالوِ يُرَى في سَيها زَرَمُ

ورواها الزمخشري في الاساس : « اخرجها من جُحْرها أَيْنَاتُ الله والقَسَمُ » (قال) « ويُقال حيّة حَتْفة اي قاتلة كما يقال امرأة عَدْلة »

وزري هنا ابياتاً من ارجوزة نقلها صاحب كتاب البدء (٢ : ٨٥) والمسعودي في مروج الذهب لعليّ بن جهم عن بدء الخليقة كما رواها لهُ النصارى وان تأخر زمانهُ عن الجاهليّة :

يا سائلي عن ابتداء الخَلْقِ مسألةَ القاصدِ قَصْدَ الحقِّ
أخبرني قومٌ من الثقاتِ أُولو علومٍ وأُولو هيئاتِ
تفرَّغوا في طلَبِ الآثارِ وعرفوا مواردَ الاخبارِ
ودرسوا التوراةَ والانجيلا واحكموا التأويلَ والتنزيلا
انَّ الذي يفعلُ ما يشاء ومَنْ لهُ القدرةُ والبقاء
انشأَ خلقَ آدمٍ إنشاء وقَدَّ منهُ زوجَهُ حوَّاء
مبتدياً وذاك يومَ الجُمُعَهْ حتى اذا أكملَ فيهِ الضُّمَّعَهْ
اسكنَهُ وزوجهُ الجِنانا فكان من امرهما ما كانا
غرَّهما الشيطانُ واغترَّا بهِ كما ابانَ اللهُ في كتابهِ
غرَّهما الشيطانُ في ما صنعا فأُهبطا منها الى الارض معا
فوقع الشيخُ ابونا آدمُ بجبل الهند ويُدعى واسمُ
لبِّس ما اعتاضَ من الجنانِ والضعفُ من جبلَّة الانسانِ
فشقيا وورثا الشقاء فسلَّها وكدَّ والعناء
ولم يزل منقرًا (١ من ذنبهِ حتى تلقَّى كلماتٍ وبهِ
فآمن السَّخْطة والعذابا واللهُ توَّابٌ على من تابا

والعرب يضربون المثل بآدم في القِدَم قال الاخطل بن ربيعة (الاغاني ١٢ : ١٦٥) يهجو بني منقر :

يا منقرَ بن عُبَيْدٍ انَّ لُؤْمَكُمُ مذ عهد آدمَ في الديوان مكتوبُ
للضيف حقٌّ على من كان ذا كرمٍ والضيفُ في منقرٍ عُريانُ مسلوبُ

١) لعلَّ الصواب : منقرًا

٣ ﴿ بنو آدم ﴾ وقد عرف شعراء العرب في الجاهليَّة نَسْل آدم وقصَّة ولديه كما ورد في قصيدة ابن جهم حيث قال عن آدم وحوَّا :

ثمَّ تنسَّلا احبَّا (١ النَّسلا فحبلتْ حوَّاءُ منهُ (٢ حَمْلا
واقتنيا الابن فسُمِّي قاينا وعاينا من نَشْئِهِ (٣ ما عاينا
نشبَّ هابيلُ ونشبَّ قاينُ ولم يكن بينهما تباينُ

ومن الشعر المتضمّن لاخبار بني آدم رثاء يرويهِ العرب على لسان آدم وحوَّاء عند قتل قاين (ويقولون قابيل) لاخيهِ هابيل وهو لا محالة مصنوع الَّا انَّهُ قديم يُروى في اقدم كُتب المسلمين كتاريخ الطبري (١ : ١٤٦) ومروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس ١ : ٦٥) وغيرهما كثيرين (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٤٩٢) وهم ينسبون انشادهُ الى علي بن ابي طالب ما يدلُّ على انَّ الشعر سبق الاسلام . قال آدم :

تغيَّرت البلادُ ومَن عليها فوجهُ الارضِ مغبرٌّ قبيحُ
تغيَّر كلُّ ذي طعم ولونٍ وقلَّ بشاشةً وجهٌ صبيحُ (٤
وجاورَنا عدوٌّ ليس يُغنى لعينٌ لا يموتُ فنستريحُ
وقابيلٌ أذاق الموت هابيلَ وأحزَنا فقد فُقد المليحُ (٥
فا لي لا اجودُ بسكب دمعي وهابيلٌ تضمَّنهُ الضَّريحُ
ارى طولَ الحياة عليَّ غمًّا وما انا من حياتي مستريحُ

ونسبوا الى حوَّاء قولها كجواب على قول آدم :

دع الشكوى فقد هلكا جميعاً بمثلك ليس بالشنِ الربيحِ (٦
وما يُغني البكاء عن البواكي اذا ما المرء غُيِّب في الضريحِ

---

١) في الاصل « واحبَّ » وهو غلط

٢) في الاصل « منهُ حوَّاء » بكسر الوزن

٣) هكذا روى المسعودي (١ : ٦٣) وفي كتاب البدء : وولدت ابنًا . . . من امره . . .

٤) والبيت يروى عادةً بالافراد : بشاشةُ الوجهِ الصبيحِ . وروى المسعودي : كل ذي طعم .

٥) رواية المسعودي :
وقتَّل قاينُ هابيل ظلماً فوا اسفًا على الوجهِ المليحِ

٦) رواهُ الطبري (١ : ١٤٦) :
ابا هابيلَ قد قُتلا جميعاً وصار الحيُّ كالميت الذبيحِ

تبكي النفسَ منكَ ودَمعٌ هواها فلستَ مخلَّدًا بعد الذبيحِ

واضافوا الى هذه الابيات قولًا على لسان ابليس لآدم :

تنحَّ عن البلادِ وساكنيها ففي الجنّات ضاقَ بك النسيحُ
وكنتَ بها وزوْجَك في رخاء وقلبكَ من اذى الدنيا مُريحُ
فما زالت مكايدتي ومَكْري الى ان فاتك الثمنُ الربيحُ
فلولا رحمةُ الجبّار اضحى بكفّيك في جنانِ الخلدِ ريحُ

وممّن اشاروا في الجاهليّة الى ولد آدم افنونُ الشاعر التغلبي (المفضّليات ص ٥٢٤ ed. Lyall) قال :

قد كنتُ اسبقُ من جارَوْا على مَهَلٍ من ولد آدمَ ما لم يخلوا رَسَني

٤ ﴿ نوح والطوفان ﴾ ليس في الكتاب الكريم بعد ذكر التكوين واقعٌ اخطر من الطوفان في عهد نوح . ولا شكَّ انَّ عرب الجاهليّة نقلوا الخبر عن اهل الكتاب ولا سيما النصارى . منهم الاعشى الكبير حيث قال يمدح اياسًا ويشبهه بنوح في صنع سفينته (شعراء النصرانيّة ص ٣٨٩) :

جَزَى الالهُ اياسًا خيرَ نسئهِ كما جزى المرءَ نوحًا بعد ما شابا
في فُلْكهِ اذ تبدَّاها ليصنعها وقالَ يجمع ألواحًا وابوابا

ومنهم اميّة ابن ابي الصلت روى له الجاحظ في كتاب الحيوان (طبعة مصر ٢ : ١١٨ = Ms de Vienne, 212v) والمقدسي في كتاب البدء (٣ : ٢٤) ابياتًا منها قوله يذكر نجاة نوح واهله وحلوله على جبل الجوديّ الذي فوقه نزلت سفينته على زعم العرب :

الى أن يفوتَ المرءَ رحمةَ ربّهِ وان كان تحت الارض سبعون (١ وادياً
كرحمةِ نوحٍ يوم حلَّ سفينة (٢ لشيعتهِ كانوا جميعًا نجانيا
فلمّا استنارَ (٣ اللهُ تنّور ارضهِ ففارَ وكان الماء في الارض ساحيا
ترقّى في جَرْيٍ كأنَّ اطيطَهُ صريفُ مُحالٍ يستعيد الدواليا
على ظَهْرِ جَوْنٍ لم يُعَدَّ لراكبٍ سراهُ وغيمٍ ألبس الماء داجيا (٤

١) في كتاب البدء (٣ : ٢٤) : سبعين
٢) كذا في كتاب البدء ولعلّ الصواب : سفينتهُ
٣) كذا فيه ولعلّ الصواب : استثار او استفار
٤) في طبعة مصر : « راجيًا » وهو تصحيف

فصارت بها اياسُها كمْ سبعةٌ وستّ ليالٍ دائبات عواطيا
تشقُّ جسم قتوي باحسن إمرةٍ (١ كأنّ عليها هادياً ونَواتيا
وكان لها الجوديُّ نَهْياً وغايةً واصبحَ عنها موجُهُ متراخيا

ومثلها قولهُ (كتاب البدء ٣: ٢٤) :

مُنجٍ ذي الخَيْرِ من سفينة (٢ نوحٍ يومَ بادت لبنانُ من أخراها
فارِ تنّورُهُ وجاشَ بماءٍ طمّ يغرق الجبال حتى علاها
قيل للبدء سِرْ فسار وبالله على الهول سَيْرُها ومُراها
قيلَ فاهبطْ فقد تنامتْ بك الفُلْكُ على رأسِ شاهقٍ مرساها

ولهُ ايضاً (رواهُ صاحب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب ٤: ٤) :

عرفتُ أن لن يفوتَ اللهَ ذو قِدَمٍ وانّهُ من امير السوْ يَنتقمُ
الصُبحُ الخُشْبَ فوق الماء سخّرها خِلالَ جريتها كأنها عُومُ (٣
تجري سفينةُ نوحٍ في جوانبهِ بكلّ موجٍ مع الارواح تقتحمُ (٤
مشحونةٌ ودخانُ الموج يرفعُها ملأى وقد صرعت من حولها الامم (٥
حتى تسوّت على الجوديّ راسيةً بكلّ ما استُودِعَتْ كأنها أُطُمُ (٦

وروي لهُ ايضاً في كتاب الحيوان للجاحظ (Ms de Vienne, ff 396v) بيتان في البهائم التي كانت في سفينة نوح :

تصرخُ الطيرُ والبريّةُ فيها مع قويّ السباعِ والافيالِ
مرّ فيها من كل ما عاش زوجٌ بين ثَعْرَيْ غوارب كالجبالِ

---

١) في الاصل : امره
٢) لعل الصواب : من سفينه
٣) وفي الاصل عن شارح ديوان ابيّة ما نصّهُ : يُقال سَبَّح الرجلُ واسبَحَهُ الله . والعُوم جمع العومة كأنّها حيّة تكون بعمان . والعامّة تشبه الطَّوْف الّا انها اصغر منهُ يركب فيهِ البحر » وروى في لسان (١٥: ٢٣٨) : في اليمّ جريتُها
٤) في الاصل : في جوانبهِ اي جوانب الماء
٥) في الاصل : مشحونة اي ممتلئة يقال : اشحنْ سفينتك اي املأها . وفي خزانة الادب قبل هذا البيت بيت آخر أقحم في القصيدة بالغلط وهو من بحر المنسرح كما نبّهَ عليهِ في الهامش والابيات كلها من البسيط وهو قولهُ :
نُودي قُمْ واركبْ بأهلك م انّ الله موقٍ للناس ما زعموا
٦) الأُطُم والجمع آطام

ويحسن بنا ان نروي هنا ما قال القطاميّ الشاعر النصراني في عهد بني اميّة عن نوح وسفينته (ديوانهُ ص ٨٤ ed. Barth ولسان العرب ٦ : ٣٣٤) :

وأُنذِرُكم مصابرَ قومِ نوحٍ وكانت أمّةٌ فيها انتشارُ
وكان يسبّح الرحمانَ شكرًا وفُه المحامِدُ والوقارُ
فلمّا ان اراد اللهُ امرًا مضى والمشركون لهم جُؤَارُ (١
ونادى صاحبُ التنّورِ نوحًا وصبَّ عليهمُ منهُ البوارُ (٢
وضجّوا عند جيئتهِ وفرّوا (٣ ولا يُنجي منَ القدرِ الحِذارُ
وجاش الماءُ منهمرًا اليهم كأنَّ غُثاءهُ خرَقٌ نُشارُ (٤
وعامت وهي قاصدةٌ بإذنٍ ولولا اللهُ جار بها الجَوَارُ (٥
الى الجوديّ حتى صار حِجرًا وحان لِشالكٍ الغُمَرُ انحسارُ (٦
فهذا فيهِ موعظةٌ وحكمٌ ولكني امروءٌ فيَّ افتخارُ

وذكر اميّة الجُوديّ في محلّ آخر مشيرًا الى حلول سفينة نوح عليهِ (كتاب سيبويه ١ : ١٣٦ ed. Derenbourg) والبيت يُروى لورقة بن نوفل في جملة ابيات (شعراء النصرانيّة ص ٦١٧) :

سبحانهُ ثمَّ سبحانًا يعودُ لهُ ومثلنا سبّحَ الجوديُّ والجُمُدُ

ولاميّة يذكر امر الغراب والحمامة اللذين ارسلهما نوح فقرّ الغراب وعادت الحمامة بغصن الزيتون فقال (كتاب الحيوان للجاحظ طبعة مصر ٤ : ٦٥ ثم Ms de Vienne, ff. 212ᵛ ثمّ كتاب البدء ٣ : ٢٥) :

واذ هم لا لُبوسَ لهم تقيهم واذ صمُّ البلاءِ لهم رطابُ (٧

---

١) قالوا الجؤار الماء الكثير

٢) في لسان العرب : نوحٌ . وفي الديوان : الوَبارُ . وظنّها تصحيفًا

٣) رواية الديوان : جيئتهِ اليهم . وجيئتهُ اي حين جاء الطوفان

٤) في الاصل . « يريد كأنَّ وَبَدَهُ ملاءة منتشرة مبسوطة » . وفي اللسان : خرَق قُسارُ

٥) شرحهُ في الديوان : عامت سبحت الى الجوديّ . والجَوَار الجَوْر اي لولا الله لجار بالسفينة الجَيرة فكانت تجور ولا تهتدي

٦) قال في اللسان : الحِجْر الممنوع الذي لهُ حاجز . وفي الديوان اي منع الجودي السفينة ان تجري . الغُمَر الغمرات الشيء الذي يُغمَر ويغرق . والانحسار الانكشاف

٧) رواه الالوسي في بلوغ الارب (٣ : ١٢١) عن الثعالبي « لهمُ عراةٌ . . . صمُّ الصلاب » . وفي كتاب البدء : « واذ صخر البِلّام » وفي البيت اشارة الى ما كان يزعمهُ

عشيّةَ أرسل الطوفانُ يجري وطاف الماء ليس له جرابُ
على امواج أخضرَ ذي حبيكٍ كأنّ سُمارَ ذاخرهِ الضبابُ
بآيةِ قام ينطقُ كلُّ شيءٍ وخانَ امانةَ الديكِ الغرابُ (١
وأرسلت الحمامةُ بعد سبعٍ تدلُّ (٢ على المهالك لا تغابُ
تَلَمَّسُ هل ترى في الارض عيناً وعائنةً جا الماء العُبابُ (٣
فجاءت بعد ما ركضتْ بقطفٍ عليهِ الشأطُ والطينُ الكُبابُ (٤
فلمّا فرّشوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عُقد السِّخابُ (٥
اذا ماتت تورّثُهُ بنيها وان تُقتَل فليس لها استلابُ (٦
جزى (٧ الله الاجلُّ المرء نوحاً جزاءَ البرِّ ليس لهُ كذابُ
بما حملتْ سفينتهُ وراحت غداةَ اتاهمُ الموتُ انقلابُ
وفيها من أرومتهِ عيالٌ لديهِ لا الظماء ولا الشبابُ

وقال ايضاً في حمامة نوح وطوقها (حياة الحيوان للجاحظ ٢ : ١١٩) :

وما كان اصحاب الحمامة جيفة غداة غدت منهم نضحُ الحوافيا
رسولاً لهم والله يحكم امرَهُ يبين لهم هل يؤنس الثوب باديا
فجاءت بقطفٍ آيةً مستبينةً فأصبح منها رضعُ الطين جاويا
على خطمها واستوهبت ثمَّ طوقَها وقالت ألا لا تجعل الطوق حاليا
ولا ذهباً اني اخافُ نبالهم يخالونهُ مالي وليس بماليا
وزدني على طوقي من الحلي زينةً تُصيب اذا أثبتُّ طوقي خضابيا

العرب انّ الحجارة كانت قبل الطوفان رطبةً والطين ناطقة ومن امثالهم « كان ذلك اذ كان كل شيء ينطق » و « كان ذلك والحجارة رطبة » ويدعون ذلك العهد « زمن الغطحل »

١) روى في كتاب البدء : « بانهُ قام » . وروى الالوسيّ : « وكان امانة الديك » وكلاهما تصحيف

٢) في كتاب البدء : تزلُّ

٣) في كتاب البدء : وعائنهُ . وفي كتاب البدء : « به يئس واضطراب » وهي رواية مصحّفة

٤) القِطف ما قُطف من الاغصان . والشأطُ الحمأة . والكُبابُ الطين اللازب . وفي كتاب البدء : « عليه الشلط والطين الكثاب » وهو تصحيف

٥) في كتاب البدء . فرّشوا الآيات . والملأ الملق ميّزوا وفصّلوا . والسِّخاب القلادة . ويروى : السحاب وهو تصحيف

٦) في كتاب البدء : « تورّثها . . وان قُتلت » . وفي البيتين اشارة الى زعم العرب بان الطوق الذي يحلّي عنق الحمامة انما هو جزاء امانتها لمّا عادت الى سفينة نوح

٧) في كتاب البدء : فجازى . والبيت مختلّ الوزن

وزدني لطرف البين منك بنعمة ووَرِّثْ (١ اذا ما متُّ طرفي حمامها
يكونُ لأولادي جمالاً وزينةً ويحزن زيني زينةً أن برانيا (٢

وروى البحتري في حماسته (راجع طبعتنا ص ١٢٤) لرجل الكنديّ في نوح وسفينته فقال في تصرُّف الأيام :

وأمينَ نوحاً بعد ما بلغتْ بهِ أُفُقَ البلاد سفينةٌ لم تزرَقِ

ويضربون المثل في نوح بطول العمر وروى لزوبة (ديوانهُ ص ١٢٨) :

فقلتُ لو عُمِّرتُ سنَّ الجِعْلِ او عُمْرَ نُوحٍ زمنَ القِطَحْلِ (٣
والصخرُ مِثْلٌ كطين الوَحْلِ صرتُ رهين هَرَمٍ او قَتْلِ

اوهام العقليين في الوحي الالهي

للاب شرل ايلا اليسوعي (تابع)

٤ بدعة السوسينين

هُمُ العقليون المتوسطون على ما سبق اليك الكلام (ص ١٧٧) ويُطلق عليهم ايضاً اسم الموحدين (Unitariens) واعداء الثالوث (Antitrinitaires) لانهم يعتقدون انَّ الذات الالهيَّة لا تقوم الّا باقنوم واحد

وكان منشئا هذه البدعة ليليو سوسين (Lelio Socin) ونسيبهُ فوست (Fauste) ايطاليَّين ابصرا النور في مدينة سينّا (Sienne)

امّا الاوَّل فبعد ان تاه اربع سنوات في انحاء اوربا ومكث برهةً من دهره

(١ في الاصل : وأَرِّث

(٢ وللشاعر بعد هذا ابيات ذكر فيها قصَّةَ يروجا الغراب جرت على زعمهم بين الديك والغراب . يقولون انَّ الديك نادم الغراب وشرباً الخمر ولم يعطيا الخمَّار حقَّهُ فرهنَ الغرابُ الديكَ على حجَّة ان يذهب ويأتي بالثمن فلمَّا ذهب خاس بالديك وسخر بهِ ولم يرجع فبقي الديك محبوساً

٣ الجِعْل ولد الضب ويروى : عُمْر الحِعْلِ . والقِطَحْل السيل والطوفان . (راجع الصفحة ٢٨٨)